الفصل الثالث

رسم المصحف

معناه ـ قيمته

صور من رسم المصحف

شبه وردود

رسم المصحف

الرسم في اللغة الأثر ، ومنه قول الشاعر : رسم دار وقفت في طلله[1] .

وفي الاصطلاح : تصوير الألفاظ بحروف هجائها[2] لتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية تتيح لمن يطلعون عليها أن يحصلوا ما تدل عليه من علوم وأفكار .

ورسم الحروف في لسان من الألسنة اصطلاح وعُرْف يخضع لما يمر به أهل هذا اللسان من مؤثرات بيئية ، واجتماعية وثقافية متعددة . ومن هنا يختلف الرسم ويتطور من وقت إلى آخر .

ويستثنى من ذلك « رسم المصحف » ؛ إذ من مقولات العلماء :

---

(١) هذا صدر بيت لجميل بن معمر العذري ، وصدره :
كـدت أقضى الحيـاة من جلله
ومعنى : جلله أي من أجله ، أو من عظمه في نفسي .

(٢) شرح الشافية جـ٣ ص ٣١٢ .

خطان لا يقاس عليهما : خط المصحف العثماني ، وخط العروضيين .

ومن هنا إذا تكلمنا عن المصحف فالمقصود به : المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة[1] .

أسباب توحيد المصاحف :

قام أبو بكر رضي الله عنه بالجمع الأول للقرآن الكريم ، فكتب في عهده أول مصحف ، وكان مشتملاً على السبعة الأحرف التي أذن الله للأمة بالتلاوة بها ، ولم يخص حرفاً بعينه[2] وهذا المصحف هو الذي اعتمد عليه عثمان فيما بعد وكان بجانب هذا مصاحف لكبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس كما ذكروا مصاحف أخرى لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم مثل عائشة وحفصة وأم سلمة ، ومصاحف لبعض التابعين مثل عطاء بن رباح وعكرمة ومجاهد[3] .

وكان في هذه المصاحف ما صح سنده ، وثبتت تلاوته ، ووافق العربية ، ولكن اختلف بعضها عن بعض مما ترتب عليه اختلاف الناشئة واختلاف القراء من أهل العراق والشام ، وسندع الصحابي الجليل أبا حذيفة يصف هذا الموقف ، ويشرح التصرف الذي قام به . حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية ، وأذربيجان فرأى الناس يختلفون في القرآن ، ويقول أحدهم للآخر : قراءتي أصح من قراءتك فأفزعه ذلك وقدم على عثمان وقال : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود

---

(١) راجع لطائف الإشارات في علم القراءات لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني ص ٢١١ .

(٢) المقنع في القراءات لأبي عمرو الداني ص ١٢٩ .

(٣) المصاحف لأبي داود السجستاني صفحات ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٩١ .

والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلتها إليه فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال : إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، فكتب منها عدة مصاحف ، فوجه بمصحف إلى البصرة وآخر إلى الكوفة ، وثالث إلى مكة ، ورابع إلى اليمن ، وخامس إلى البحرين ، وأمسك لنفسه مصحفاً يقال له : الإمام[1] .

وبهذا العمل العظيم الذي يتسم بالدقة والإحكام والذي قام به الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه توقفت الاختلافات والمنازعات في الأمصار حول تفضيل قراءة على أخرى ؟ إذ منع عثمان القراءة بما خالفها وأصبح رسمها حجة ، وساعده على ذلك جماهير الصحابة والتابعين ، وسار على ذلك مَنْ بعدهم ، وتلقتها الأمة بالقبول وأصبح مصحف عثمان هذا هو الإمام ، والمرجع في رسمه وخطه ، وترتيبه ، وأصبحت القراءة بما يخالفه ، وإن وافق العربية وصح سنده ـ كالذي جاء في مصاحف الصحابة والتابعين ـ شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف الإمام المجمع عليه فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها[2] .

مظاهر الدقة والإحكام في رسم المصحف الإمام :

١ ـ نسخت المصاحف العثمانية ومن بينها المصحف الإمام على أساس الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه إذ اعتمدوا

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٥١ ، ت محيش ، وراجع الصاحف للسجستاني ص ١٢ .

(٢) راجع النشر جـ ١ ص ٥٢ ، ومنجد المقرئين لابن الجزري ص ١٦ وما بعدها .

على مصحفه الذي كان موجوداً إذ ذاك عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ، والذي تم على أساس العرضة الأخيرة للقرآن[1] بين جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة .

٢ ـ قام بهذا الجمع عدد من أجلاء الصحابة وقرائهم الذين تلقوا قراءتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل علم وفقه وفصاحة ، حتى إن عليا رضي الله عنه قال عن هذا العمل العظيم : لو وُلِّيتُ في المصاحف ما وُلِّي عثمان لفعلت ما فعل[2] .

٣ ـ شرح لهم عثمان رضي الله عنه خطة العمل بما يكفل السداد والاقتصار على القراءات التي صحت سنداً ولغة ، فالنسخ يتم من مصحف أبي بكر رضي الله عنه ، والناسخون من الصحابة ، وهم أنفسهم مرجع في ذلك لحفظهم ، وفصاحتهم ، وزيد بن ثابت حجتهم فإن اختلفوا مع زيد ، فلتكن الكتابة بلسان قريش .

٤ ـ خط المصحف العثماني وعاء صالح للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، وأصبح هذا الخط ـ فيما تعارف عليه علماء المسلمين ـ غير خاضع لتطور الرسم الإملائي ، حتى أصبح له سمت مُمَيَّز ، يحافظ عليه المسلمون إلى الآن حتى إنه كتب بدون « نَقْط أو شكل » شأن الكتابة في ذلك العهد ، ثم تم نقط المصحف وشكله دفعاً لتيار اللحن الذي بدأ يتكاثر في أواخر القرن الأول من الهجرة .

أمثلة للاختلاف بين الرسم العثماني ، والرسم الذي اعتدناه في الكتابة في هذا العصر :

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

عثماني	عادي	عثماني	عادي	عثماني	عادي	عثماني	عادي
صرٰط[1]	صراط	غشٰوة[3]	غشاوة	لا تسئلوا[5]	لا تسألوا	ءاباءكم[7]	آبائكم
الصلوٰة[2]	الصلاة	ومأونه[4]	ومأواه	الخبٰث[6]	الخبائث	بأييكم[8]	: بأيكم
بأيد[9]	بأيدٍ	لا أذبحنه[10]	لأذبحنه				

نماذج من الرسم العثماني

نظراً لأن موافقة الرسم العثماني صارت شرطاً لصحة القراءة وقبولها ، نقدم نماذج للرسم العثماني في مواضع مختلفة ، وسأشير إلى حكمة الاتجاه لهذا الرسم وصلته بعلوم القراءات .

١ ـ هاء التأنيث :

ما يكتب منها بالتاء المجرورة (المفتوحة) نوعان :

نوع اتفق على قراءته بالإفراد وهو ثلاث عشرة كلمة على النحو التالي .

١ ـ رحمت رسمت هكذا في سبعة مواضع .

﴿ يرجون رحمت الله ﴾ البقـرة ﴿ إن رحمت الله قرين من المحسنين ﴾ الأعراف ﴿ رحمتُ الله وبركاته ﴾ هود ﴿ ذكر رحمتِ ربك ﴾ مريم ﴿ فانظر إلى آثار رحمتِ الله ﴾ الروم ﴿ أهم يقسمون رحمتَ ربك ﴾ ﴿ ورحمتُ ربك خير ﴾ كلاهما بالزخرف وما عدا ذلك فبالهاء المربوطة .

---

(١) الفاتحة/ ٧ .
(٢) البقرة/ ٣ .
(٣) البقرة/ ٧ .
(٤) آل عمران/ ١٦٢ .
(٥) المائدة/ ١٠١ .
(٦) الأعراف/ ١٥٧ .
(٧) الدخان/ ٨ .
(٨) القلم/ ٦ .
(٩) الذاريات/ ٤٧ .
(١٠) النحل/ ٢١ .

٢ ـ نعمت رسمت هكذا في أحد عشر موضعاً .

﴿ واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل ﴾ البقرة ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم ﴾ آل عمران ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ هَمَّ ﴾ المائدة ﴿ بدلوا نعمت الله ـ وإن تعدوا نعمت الله ﴾ ابراهيم ﴿ وبنعمت الله هم يكفرون ـ يعرفون نعمت الله ـ واشكروا نعمت الله ﴾ النحل ﴿ في البحر بنعمت الله ﴾ لقمان ﴿ واذكروا نعمت الله ﴾ فاطر ، ﴿ فذكر فما أنت بنعمت ربك ﴾ الطور وما عدا ذلك فبالهاء

٣ ـ امرأت تكتب هكذا إذا أضيفت إلى زوجها،وذلك في سبعة مواضع :

﴿ امرأت عمران ﴾ آل عمران ﴿ امرأت العزيز ﴾ يوسف ﴿ امرأت فرعون ﴾ القصص والتحريم ﴿ امرأت نوح ـ وامرأت لوط ﴾ كلاهما بالتحريم وما عدا ذلك فبالهاء المربوطة .

٤ ـ « سنت » رسمت هكذا في خمسة مواضع :

﴿ فقد مضت سنت الأولين ﴾ الأنفال ﴿ إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ـ ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ فاطر ﴿ سنت الله التي قد خلت ﴾غافر، وما عدا ذلك بالها مثل ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ الأحزاب .

٥ ـ «لعنت» رسمت هكذا في موضعين وما عدا ذلك بالهاء المربوطة .

﴿ فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾ آل عمران ﴿ والخامسة أن لعنت الله عليه ﴾ بالنور .

٦ ـ معصيت : رسمت هكذا في موضعين ولا ثالث لهما في الكتاب العزيز ، وهما ﴿ معصيت الرسول ﴾ موضعان بالمجادلة .

٧ ـ كَلِمَتُ : سمعت هكذا في موضع واحد .

وهو قوله تعالى : ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى﴾ الأعراف.

٨ ـ **بَقِيَّتُ** : رسمت هكذا في موضع واحد هو ﴿ بقيت الله خير لكم ﴾ هود ، وما عداه بالهاء مثل : ﴿ أولو بقية ﴾ هود/ ١١٦ ﴿ بقية مما ترك آل موسى ﴾ البقرة .

٩ ـ **قُرَّتُ** : رسمت هكذا في موضع واحد ﴿ قرت عين لي ولك ﴾ القصص وما عداه بالهاء ﴿ قرة أعين ﴾ بالفرقان والسجدة .

١٠ ـ **فطرت** : رسمت هكذا في موضع واحد بالروم وهو ﴿ **فطرت** الله ﴾ ولا ثاني له .

١١ ـ **شجرت** : رسمت هكذا في موضع واحد وهو ﴿ إن شجرت الزقوم ﴾ بالدخان وما عداه بالهاء مثل ﴿ أم شجرة الزقوم ﴾ الصافات/ ٦٢ ﴿ شجرة الخلد ﴾ طه .

١٢ ـ **جنت** : رسمت هكذا في موضع واحد ﴿ وجنت نعيم ﴾ وما عداه بالهاء مثل ﴿ جنة نعيم بالمعارج ﴾ .

١٣ ـ **ابنت** : رسمت هكذا في موضع واحد ﴿ ومريم ابنت عمران ﴾ التحريم ، ولا ثاني له .

ب ـ والنوع الآخر قرىء بالجمع وبالإفراد ، ويرسم بالتاء المجرورة (المفتوحة) وهي سبع كلمات في اثني عشر موضعاً .

١ ـ كلمت في أربعة مواضع : ﴿ وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلا ﴾ الأنعام ﴿ وكذلك حقت كلمت ربك ﴾، ﴿ إن الذي حقت عليهم كلمت ربك ﴾ يونس ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا﴾ غافر . وهناك خلاف في الآية الثانية من يونس ، وآية غافر .

---

(١) راجع في هذا الموضوع : المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني ص ٨٢ ما بعدها وملخص العقد الفريد للشيخ علي صبرة ط ١٩١٣هـ .

٢ ـ (آيات للسائلين) بيوسف .
٣ ـ غيابت الجب : في موضعين بيوسف .
(آيات من ربه) آخر العنكبوت .
٤ ـ (الغرقات) بسبأ .
٥ ـ (بَيِّنت منه) فاطر .
٦ ـ ﴿ من ثمرات من أكمامها ﴾ فصلت .
٧ ـ ﴿ جمالت صفر ﴾ المرسلات .
ومما يرسم بالتاء المفتوحة غير ما سبق .

﴿ هيهات ﴾ في موضعين بالمؤمنون ، و ﴿ ذات بهجة ﴾ النمل و﴿ يا أبت ﴾ حيث وقعت (ولات حين مناص) ص ﴿ مرضات ﴾ بالبقرة والنساء والتحريم ، و ﴿ اللات ﴾ بالنجم .

ورسم ما رسم بالتاء له علاقة بالوقف ؛ إذ يوقف عليه بالتاء ، وهي لغة لبعض قبائل العرب .

٢ ـ الحذف والإثبات :

مما تعارف عليه علماء الرسم أن كل واو للمفرد أو الجمع حذفت في الوصل لالتقاء الساكنين فإنها ثابتة رسما ، ووقفا نحو ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ ونحو ﴿ ملاقو الله ـ مرسلو الناقة ـ كاشفو العذاب ـ جابوا الصخر بالواد ﴾ وما أشبه ذلك .

يستثنى من ذلك أربعة أفعال ، واسم واحد تحذف فيها رسماً ولفظاً ، ووصلاً ووقفاً وهي : ﴿ ويدع الإنسان ﴾ الإسراء ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ الشورى ، ﴿ يوم يدع الداع ﴾ القمر ﴿ سندع الزبانية ﴾ العلق أما الاسم فهو ﴿ وصالح المؤمنين ﴾ التحريم ، على القول بأنه جمع مذكر سالم .

وأما الياء :

فأثبتت في (الأيدي) من قوله تعالى : ﴿ أولى الأيدي والأبصار ﴾ ص ، وحذفت من ﴿ ذا الأيد إنه أواب ﴾ ص ، ويوقف على الأولى بإثباتها وعلى الثانية بحذفها ، وهذا يدل على العلاقة الوطيدة بين الرسم والقراءات .

ويوقف بالياء كذلك على نحو ﴿ معجزي الله ـ محلي الصيد ـ حاضري المسجد الحرام ـ آتى الرحمن ـ مهلكي القرية ـ والمقيمي الصلاة ﴾ من كل ياء ثبتت في الرسم وإن حذفت في الوصل .

وقدمنا تفصيلات في هذه الناحية عند حديثنا عن الأصول ـ فصل الياءات .

وأما الألف :

فإن حذفت في الوصل لالتقاء الساكنين فإنها ثابتة رسماً ووقفاً نحو ﴿ ذاقا الشجرة ﴾ ﴿كلتا الجنتين﴾ ﴿ يأيها النبي﴾ إلا ثلاثة مواضع حذفت فيها الألف رسماً ، ويوقف على الهاء فيها من غير ألف وهي ﴿ أيه المؤمنون﴾ النور ﴿ يا أيه الساحر ﴾ الزخرف ﴿ أيه الثقلان ﴾ الرحمن .

واتفق على إثبات الألف عند الوقف في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرا ﴾ البقرة ﴿ وليكونا من الصاغرين ﴾ يوسف ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ العلق ، وفي إذاً المنونه حيث وقعت وألف ﴿ لكنا هو الله ربي ﴾ الكهف .

وتثبت الألف وقفا وتحذف وصلا كذلك في (أنا) الضمير وفي (الظنونا ـ الرسولا ـ السبيلا) في الأحزاب و (قواريرا) الأولى في سورة الإنسان ، أما الثانية فتحذف ألفها وصلا ووقفا .

ومما حذف وصلا ووقفا كذلك وإن ثبت رسماً ألف ثمود في أربعة مواضع ﴿ ألا إن ثمودا كفروا ربهم ﴾ هود ﴿ وثمودا وأصحاب الرس ﴾ الفرقان ﴿ وثمودا وقد تبين لكم﴾ العنكبوت ، ﴿ وثمودا فما أبقى ﴾ النجم[1] .

ما ذكرناه هنا في بيان الثابت والمحذوف طبقاً لما ذهب إليه حفص .

القطع والوصل

في الرسم العثماني حروف توصل بما يليها وأخرى تقطع عما بعدها ، وقد نجد كلمة بعينها أو حرفاً من حروف المعاني يوصل بما بعده أحياناً ، وفي أحيان أخرى يفصل عما بعده ، طبقاً لما سار عليه رسم المصحف ، وهو واجب الاتباع بحكم إجماع الصحابة على مصحف عثمان رضي الله عنه .

وهذا الرسم تترتب عليه نتيجة في القراءات هي أن الكلمة المقطوعة يجوز الوقف عليها دون الموصولة .

وهذه بعض صور المقطوع والموصول في رسم المصحف .

١ ـ أَنْ (بفتح الهمزة وسكون النون) أيا كان معناها النحوي .

تقطع عن « لا » النافية في عشرة مواضع : ﴿ حقيق على أن لا أقول ـ أن لا يقولوا على الله إلا الحق ﴾ الأعراف ﴿ أن لا ملجأ من إلا إليه ﴾ التوبة ﴿ وأن لا إله إلا هو ـ وأن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف ﴾ هود ﴿ أن لا تشرك بي شيئاً ﴾ الحج ﴿ أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ يس ﴿ وأن لا

---

(١) راجع البرهان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قمحاوي .

تعلوا على الله ﴾ الدخان ﴿ أن لا يشركن بالله شيئاً ﴾ الممتحنة ﴿ أن لا يدخلنها اليوم عليكم ﴾ القلم.

واختلف في موضع واحد في الأنبياء ﴿ أن لا إلـه إلا أنت سبحانك ﴾ وصل في بعض المصاحف ، وقطع في بعضها ، وعليه العمل وما عدا هذه المواضع توصل أَنْ بما بعدها مثل : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ النجم .

٢ ـ إنْ بكسر الهمزة وسكون النون .

تقطع عن ما في موضع واحد بسورة الرعد ﴿ وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم ﴾ وتوصل فيما سواه مثل ﴿ وإما نرينك ﴾ يونس ﴿ وإما تخافن ﴾ الأنفال

وأَنْ المفتوحة الهمزة موصولة بما مثل ﴿ أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ﴾ الأنعام .

٣ ـ عن : تقطع عن « ما » الموصولة في موضع واحد بالأعراف (عن ما نهوا عنه) وما عداه فموصول نحو (عما يشركون) .

٤ ـ مِنْ تقطع عن « ما » في موضعين ﴿ فمن ما ملكت أيمانكم ﴾ النساء . ﴿ هل لكم من ما ملكت ﴾ الروم . ووقع الخلاف في موضع بالمنافقون ﴿ وأنفقوا من ما رزقناكم ﴾ والعمل فيه على القطع ، ويوصل ما عدا ذلك .

٥ ـ تقطع أَمْ عن مَنْ في أربعة مواضع ، ويوصل ما عداها . ﴿ أم من يكون عليهم وكيلا ﴾ النساء ﴿ أم من أسس ﴾ التوبة ﴿ أم من يأتي آمنا ﴾ فصلت ﴿ أم من خلقنا ﴾ الصافات .

٦ ـ وتقطع « أَنْ » بفتح الهمزة وسكون النون عن « لم » في موضعين .

﴿ ذلك أن لم يكن ربك ﴾ الأنعام ﴿ أيحسب أن لم يره أحد ﴾ البلد .

٧ ـ إنْ (بكسر فسكون) موصولة بلم في موضع واحد ﴿ فإلم يستجيبوا لكم ﴾ هود وما عداه فمقطوع .

٨ ـ إنَّ (بكسر الهمزة وتشديد النون) حرف توكيد ونصب تقطع عن « ما » الموصولة في موضع واحد بلا خلاف وهو : ﴿ إن ما توعدون لآت ﴾ الأنعام وفي موضع بخلاف وهو ﴿ إنما عند الله هو خير لكم ﴾ النحل .

وما عدا ذلك فتوصل بما[1] ﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ﴾ طه ﴿ إنما توعدون لواقع ﴾ الذاريات .

٩ ـ « أَنَّ » المفتوحة الهمزة المشدة النون ، أختَ إنَّ تقطع عن ما في موضعين بلا خلاف هما ﴿ وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾ الحج ﴿ أن ما يدعون من دونه الباطل ﴾ لقمان ووقع الخلاف في قوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم﴾ الأنفال ، والعمل فيه على الوصل ، وما عدا ذلك موصول ﴿ فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ التغابن/ ١٣ .

١٠ ـ « حيث » تقطع عن « ما » في موضعين بسورة البقرة : ﴿ وحيثما كنتم ﴾ في موضعيها .

١١ ـ وتقطع « كل » عن « ما » في موضع بلا خلاف وهو : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ ابراهيم .

ووقع الخلاف في أربعة مواضع ، والعمل فيها على الوصل ، وهي : ﴿ كلما ردوا ﴾ النساء ﴿ كلما دخلت أمه ﴾ المؤمنون ﴿ كلما

---

(١) « ما » هنا تحتمل أن تكون مصدرية « موصول حرفي » وأن تكون موصولاً اسمياً .

ألقى فيها فوج ﴾ الملك ، وما عدا ذلك فموصول باتفاق .

١٢ ـ وتقطع « بئس »عن ما في جميع المواضع إلا موضعين توصل فيهما (بئسما اشتروا به أنفسهم ﴾ البقرة ﴿ بئسما خلفتموني﴾ الأعراف ، ووقع الخلاف في موضع واحد ، والوصل فيه أولى ﴿ قل بئسما يأمركم ، إيمانكم ﴾ البقرة .

١٣ ـ وتقطع « في » عن « ما » في موضع واحد بلا خلاف ، وهو : ﴿ أتتركون في ما ههنا آمنين ﴾ الشعراء .

ووقع الخلاف في عشرة مواضع ، والعمل فيها على القطع : ﴿ في ما فعلن في أنفسهن من معروف ﴾ البقرة ﴿ في ما آتاكم ﴾ المائدة والأنعام ﴿ في ما أوحى إلى ﴾ ﴿في ما اشتهت ﴾ الأنبياء ﴿ في ما أفضتم ﴾ النور ، النور ﴿ في ما رزقناكم ﴾ الروم ﴿ في ما هم فيه يختلفون ـ في ما كانوا فيه يختلفون ﴾ الزمر ﴿ في ما لا تعلمون ﴾ الواقعة ، وما عدا ذلك فموصول باتفاق .

١٤ ـ وتقطع « أين » عن ما في جميع مواضع القرآن ما عدا موصعين توصل فيهما اتفاقا : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ البقرة ، ﴿ أينما يوجهه لا يأت بخير ﴾ النحل ، ووقع الخلاف في ثلاثة مواضع والأكثر القطع ﴿ أين ما تكونوا يدرككم ﴾ النساء ﴿ أين ما كنتم تعبدون ﴾ الشعراء ﴿ أين ما ثقفوا أخذوا ﴾ الأحزاب .

١٥ ـ تقطع « أَنْ » عن « لن » في جميع المواضع ما عدا موضعين توصل فيهما وهما : ﴿ ألن نجعل لكم موعدا ﴾ الكهف ﴿ ألن نجمع عظامه ﴾ القيامة .

١٦ ـ وتقطع كي عن « لا » في جميع مواضع القرآن ما عدا أربعة مواضع توصل فيها ﴿ لكيلا تخزنوا على ما فاتكم ﴾ آل عمران ﴿ لكيلا

يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ الحج ﴿ لكيلا يكون عليك جرح ﴾ ثاني الأحزاب ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ الحديد .

١٧ ـ وتقطع « عن » عن « مَنْ » في موضعين ليس غير ، وهما : ﴿ ويصرفه عن من يشاء ﴾ النور ﴿ عن من تولى عن ذكرنا ﴾ النجم .

١٨ ـ وتقطع « يوم » عن « هم » في موضعين وهما : ﴿ يوم هم بارزون ﴾ غافر ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ الذاريات وما عداهما موصول .

١٩ ـ وتقطع لام الجر عن مجرورها في أربعة مواضع : ﴿ مال هذا الكتاب ﴾ الكهف ﴿ مال هذا الرسول ﴾ الفرقان ﴿ فمال هو لهؤلاء القوم ﴾ النساء ﴿ فمال الذين كفروا ﴾ المعارج وما عدا ذلك موصول .

هذه فقرات من الموصول والمقطوع : وفائدة معرفة هذا الباب ، جواز الوقف على إحدى الكلمتين المقطوعتين باتفاق ، ووجوبه على الأخيرة من الموصولتين باتفاق ، أما ما اختلف في وصله وقطعه فيجوز الوقف على كلتا الكلمتين نظراً لقطعهما ، وعلى الأخير نظراً لوصلهما[1] .

ومن تتجلى لنا قضية هامة هي العلاقة الوثيقة بين الرسم العثماني ، وروايات القراءات ، على أساس أن الرسم موضح لها ، دال عليها ، وليست القراءات ناشئة عنه كما زعم المستشرقون ورددنا عليه في غير هذا المكان من هذا الكتاب .

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني ، وراجع البرهان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قمحاوي .

الرسم العثماني ومواقف المتشككين

تشكك المستشرقون في القراءات ، وصحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقوا بسحائب شكوكهم حول قضية رسم المصحف ، وهذا التشكك قد يكون ناشئاً عن غياب التصور الصحيح للقراءات ، ومنهج تناقلها ، وأن رواياتها تواترت قبل كتابة المصحف الإمام إذا فرضنا حسن الظن فيهم ، وقد يكون أمراً متعمداً ، وتعمد التضليل وارد في كتابات المستشرقين .

ولنناقش القضية على ضوء ما قالوه .

قال جولد تسيهر : « فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عَقَدِياً على أنه نص منزل ، مُوحًى به ، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب ، وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن »[1] .

وبعد هذا يأتي ويعلل قضية الاضطراب التي رآها فيقول : (والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة ، تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفةً من ناحية موقعها من الإعراب ، فهذه التكميلات للرسم الكتابي ، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن »[2] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ـ ترجمة عبد الحليم البخاري ص ٤ جـ ١ دار الكتب الحديثة .

(٢) المرجع السابق .

ثم يعود بعد صفحات ليردد هذا التفسير قائلاً : وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة ، تبعاً لاختلاف النقط الموضوعة فوق هذا الهيكل ، أو تحته وعدد تلك النقط بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده ، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا الى اختلاف دلالتها ، وإذا فاختلاف الحركات في المحصول الموحَّد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً ، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه »[٣] .

ويمكن أن نحدد طعون جولدتسيهر من خلال كلماته في هذه النقاط المحددة .

١ ـ وصف النص القرآني بأنه لا نظير له في الاضطراب .

٢ ـ أرجع هذا الاضطراب الى خلو المصحف من النقط .

٣ ـ فقدان الشكل في الخط العربي ، وعدم وجود الحركات النحوية وعلامات الإعراب .

والمتأمل فيما كتبه هذا المستشرق يدرك من أول وهلة أنه يدلي بتفسيرات على أساس الحدس ، والتخمين ومجرد التصور الخيالي لا على أساس المنهج العلمي الذي يتشدق به المستشرقون .

فهو مرتاب في أمور هي من قبيل الواقع المحقق ؛ إذ يقول : « في نص لم يكن منقوطاً أصلاً ، أو لم تتحر الدقة في نقطه وتحريكه » مع أن من الأمور المشهورة التي لا تقبل الجدل أن المصحف الامام وإخوته

---

(١) المرجع السابق ص ٩٢٨ .

كتبت في عهد عثمان ، وكتبت بدون نقط أو شكل ، وهو المتبع في الكتابة العربية في هذا الطور ، ولم يتم النقط أو الشكل إلا في النصف الأخير من القرن الأول للهجرة .

ولو كان تسيهر درس الأمر دراسة واعية ما وقف هذا الموقف المتردد ؟ إذ لم يقل أحد من الباحثين القدماء منهم أو المحدثين إن المصحف الإمام كتب بشكل وبنقط لم يتحر الدقة فيهما ، فلم يكن النقطُ والشكل حينذاك قد عرفا بعد .

أما وصفه النص القرآني بأنه لا نظير له في الاضطراب فقد خالفه الصواب تماماً ، وكشف بمقالته عن جهل واضح أو تعصب فاضح . . فما مظاهر الاضطراب التي رآها ؟ أهي القراءات القرآنية ؟ إنه لو ألقى عليها نظرة واعية لعلم حقيقة هذه الاختلافات بين القراءات وأنها اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف اضطراب وتناقض ، وأن محصلة هذه القراءات واحدة ، بل إن لها ثماراً تشريعية ولغوية وبلاغية تبرز جوانب العظمة في الآية القرآنية التي أفحمت أساطين الفصاحة والبيان .

وإذا كان هذا الاضطراب قد وقع في هذا العهد الباكر ، والقرآن الكريم غضا ، ولم يمض على نهاية نزوله أكثر من عشرين عاماً فما بالنا في العالم الإسلامي لا نجد هذا الاضطراب ولا نحسه ، بل إن النظرة العلمية للقراءات عند علماء الألسنة المتجردين من الهوى لا تتعدى كونها صوراً متنوعة ومتناسقة للسان يملك إمكانات قوية ومتعددة في التعبير ؟!!

إنه كان من المتوقع لو كان هناك اضطراب كما تصوره « جولد تسيهر» في هذا العصر لكان ينبغي أن يكون الاضطراب الآن بعيد المدى ، عميق الأثر بصورة تضيع معها معالم النص الصحيح .

لكن هذا لم يحدث من قريب أو من بعيد .

وهنا أريد أن أسأل : إذا كان القرآن الكريم قد حظى بهذا الاضطراب وحده ، فماذا تقول في نص التوراة أو الإنجيل ؟ وهما لم يدونا إلا بعد عصر الرسولين الكريمين موسى وعيسى عليهما السلام بقرون ؟!! وهل تستطيع بمنهج العلم الذي تحتكم إليه أن تقطع بصحة النصين ، وأنهما المنزلان من السماء دون تحريف أو تبديل ؟!

وأخيراً أضيف إلى ما سبق .

هناك قراءات يحتملها الرسم ، صحيحة في اللغة ، ولكن لم يقرأ بها ؛ إذ لم يكن لها سند صحيح يعتد به .

من ذلك ما جاء في تفسير البحر المحيط : قال ابن عطية : « أجمع القراء على ضم الميم من « مُكث » في قوله تعالى : ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ﴾[1] . واللغة تجيز في الميم من « مكث » الضم والفتح والكسر[2] لكن القراء لم يقرءوا إلا بضم الميم[3] .

وكذلك يجوز في اللغة خطِفَ يخطَف ، وخَطَف يخطِف ، ولكن القراء لم يقرءوا إلا يخطَف) وخطِف من باب علم . قال أبو علي الفارسي : (ولا نعلم أحداً قرأ الأخرى)[4] .

وفي هذا دليل آخر على أن احتمالات الرسم ليست هي سبب اختلاف القراءات .

وقد اعتد أعلام النحو بالنقل والرواية وصحة السند ، ولو كان توجيهها النحوي غير قوي .

---

(١) سورة الإسراء/ ١٠٦ .

(٢) البحر المحيط جـ ٦ ص ٨٨ .

(٣) الأتحاف ص ٢٨٧ .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي جـ ١ ص ٣٦٥ .

روى الكسائي لغة كسر الراء في « الرضاعة » ولكنها لم ترد عنه قراءة[1] .

جاء الأصمعي يوماً إلى مجلس المازني ، فقال له : ما تقول في قول الله عز وجل ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ؟ قال المازني : سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاشتغال الفعل بالمضمر ، وأنه ليس ههنا شيء هو بالفعل أولى ، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب ، فنحن نقرؤها لذلك إتباعاً ، لأن القراءة سنة »[2] .

بقيت ظاهرة لا بد من الإشارة إليها لأنها تؤكد أن القراءة سنة متبعة ، وأساسها التلقي والرواية وهي ظاهرة الاختيار عند القراء .

وتتمثل في إيثار القارىء قراءة على أخرى مع صحتهما جميعاً ، ويكون أساس الاختيار غالباً صحة السند .

شعبة[3] كان يقول : انظروا ما يقرأ أبو عمرو بن العلاء (١٥٤) مما يختار لنفسه فإنه سيصير للناس إسناداً »[4]

وكان الكسائي يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة بعضها وترك بعضاً »[5] .

وأبو علي الفارسي يرى حمزة يميل : الأشرار ـ والقرار ـ وذات قرار ـ والقهار ـ والبوار ، دون ما عداها من الكلم مما كان على صورتها ويستحق الإمالة فيقول : « فالقياس في ذلك وغيرها واحد ، ولعله اتبع في ذلك أثراً ترك القياس إليه ، أو أحب أن يأخذ بالوجهين ، وكره أن

---

(١) معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ١٤٩ .
(٢) أخبار الزجاجي ـ مخطوط ورقة ٣٦ .
(٣) شعبة من الرواة عن عاصم ، ويكنى بأبي بكر بن عياش .
(٤) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٢ .
(٥) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٨ .

يرفض أحدهما ويستعمل الآخر ، مع أن كل واحد مثل الآخر في الحسن والكثرة »[1]

قضية النقط والشكل ، والحركات الإعرابية . .

أهي السبب فيما وقع من اختلاف القراءات .

لقد ساق جولدتسيهر عدداً من الأمثلة التي كشفت عن سوء فهمه أو سوء طويته .

فذكر عدداً من القراءات سبب الاختلاف فيها عدم النقط مثل قوله تعالى : ﴿ ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴾[2] بالباء الموحدة وفي قراءة ﴿ تستكثرون ﴾ بالثاء المثلثة[3] وفي السورة نفسها[4] : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمة ﴾ بالباء وفي قراءة ﴿ نشرا ﴾[5] بالنون ، ثم يعرض صوراً أخرى ويقول : « وفي آية ٩٤ من سورة النساء تظهر على الأخص هذه الظاهرة في كل الحروف تقريباً ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ وفي قراءة ﴿ فتثبتوا ﴾ ورسم هذه الكلمة محتمل للقراءتين ﴿ وسوا ﴾ .

ثم يسوق الأمثلة للقراءات الناشئة عن فقدان الشكل في الخط العربي وعدم وجود الحركات النحوية فيذكر هذه الآية من سورة الحجر ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق ، وما كانوا إذا منظرين ﴾[6] ففيها هذه

---

(١) الحجة ١ ص ٣٧٦ .
(٢) سورة الأعراف/ ٤٨ .
(٣) لم ترد في القراءات الأربع عشرة ـ راجع الاتحاف ص ٢٢٥
(٤) الآيـة ٧٥ .
(٥) بالباء قراءة عاصم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون ـ النشر جـ ٢ ص ٢٦٩ .
(٦) سورة الحجر / ٨ .

القراءات ﴿ تُنَزِّل ـ تُنَزل ـ نُنْزِل ـ تَنَزَّل ﴾[1] وكذلك ما جاء في سورة الرعد ـ الآية الأخيرة منها ـ ﴿ ومَنْ عِندَه عِلْمُ الكتاب ﴾[2] وفي قراءة أخرى[3] ﴿ ومِنْ عندِهِ عِلْمُ الكتاب ﴾ وهناك قراءة ثالثة[4] ﴿ ومِنْ عِنْدِه عُلِمَ الكتابُ ﴾[5] .

وقد ردد هذا الرأي الدكتور آثر جفري في مقدمة كتاب المصاحف للسجستاني الذي قام بتحقيقه .

كما تورط في هذا الفهم الخاطىء بعض الباحثين المعاصرين الذين لم يمعنوا النظر جيداً في هذه القضية .

وبادىء ذي بدء أقول قد يكون وراء هذا الفهم المنحرف عند الباحثين من العرب أو من المستشرقين نص غير دقيق جاء في كتاب النشر لابن الجزري وفيه يقول : وجردت هذه المصاحف جميعها ـ يعني المصاحف التي كتبت في عصر عثمان ـ من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله ، وثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط »[6] .

فتعبير « وجردت » قد يفهم منه أن النقط موجود ، وتعمد الكاتبون تركه . وفي تقديري أن الكلمة لحقها تحريف ؛ لأن بقية النص فيه ما يصحح السياق ، ويكشف عن المراد ؛ إذ يقول ابن الجزري : إذ كان

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ص ٢٧٤ .

(٢) هذه قراءة الجمهور ـ الاتحاف ص ٢٧٠ .

(٣) قراءة الحسن ـ لاتحاف ص ٢٧٠ .

(٤) قال البنا الدمياطي : هذه القراءة ليست واردة في طرق كتابه اتحاف فضلاء البشر ـ انظر ص ٢٧٠ .

(٥) راجع مذاهب التفسير ص ٥ ـ ٧ وراجع كتاب رسم المصحف العثماني د . عبد الفتاح شلبي ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٦) النشر جـ ١ ص ٥١ ، ٥٢ .

الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط .

وعلى أية حال فهذا التفسير ناشىء عن تصور غير سديد لنشأة القراءات القرآنية ، وفهم غـامض لأصلها ، وكأن جولد تسيهر ومن حذا حذوه يتوهمون أن القراءات ظهرت بعد كتابة المصحف الإمام ، وكانت أثراً للطريقة التي اتبعت في كتابته .

وهذا وهم عجيب ؛ لأن المعلوم لكل من له أدنى دراية بعلوم القرآن أن القراءات ثبتت بأسانيد متواترة مرفوعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أي قراءة تفقد السند الصحيح ، أو تواتره لا يؤخذ بها .

كما كانت القراءات في روايتها ، وتداولها تعتمد على المشافهة والتلقي ، وهذا منهج أدخل في التدقيق والتحقيق والتحري والضبط ، وكان تدوين المصحف مجرد مرجع يفزع اليه القوم لحسم ما ينشأ من خلاف .

والدليل على سداد هذا المنهج أن الرواة أنفسهم كانوا يعرفون قيمته .

يقول الحسن بن هانىء في مدح خلف الأحمر .

لا يَهِمُ الحاءَ في القراءةِ بالخا ء ، ولا يأخذ إسناده من الصحف

كما قيل في رثائه :

أودى جماع العلم مذ أودى خلف راوية لا يجتنى من الصحف[1]

فقبل تدوين المصحف في عصر عثمان ، وأثناء التدوين وبعده كان القرآن في صدور الجمهرة من الصحابة والتابعين على أتم صورة وأدقها ،

---

(١) التصحيف والتحريف ص ١٣ .

وأنقاها ، وتناقلته عنهم الجماهير المسلمة من شتى الأمصار الإسلامية .

والاختلافات التي ظهرت في عهد عثمان رضي الله عنه كانت أحداثاً فردية حسمت بكتابة المصحف الإمام ليكون ضابطاً للقراءات الصحيحة مانعاً لغيرها .

والأسلوب الذي اتبع في كتابته كان يسمح باستيعاب الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن الكريم تيسيراً على العباد ، كما فصلنا ذلك في موضع آخر .

وأمر آخر :

لو كانت القراءات مرجعها إلى الرسم لكان ينبغي أن تكون كل قراءة موافقة لرسم المصحف صحيحة مقبولة ، ولكن الأمر على غير ذلك ؛ إذ هناك قراءات موافقة للرسم ومردودة مثل قراءة حماد الرواية ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ قرأها « أباه »[1] وقراءة ﴿ وما كنتم تستكثرون ﴾[2] في سورة الأعراف ، وسبق أن أشرنا إليها وكلتا القراءتين مما استشهد به جولد تسيهر .

لكن الرسم تابع للرواية والنقل ، وأن القراءة منقولة من أفواه الرجال الحفظة[3] وهذه قضية فات المستشرقون وأذنابهم أن يفقهوها .

ومن المعلوم في تاريخ القراءات والقراء أنهم كانوا يردون قراءة ابن مقسم ، وابن شنبود أما أولهما فكان يقول : إن كل قراءة وافقت

---

(١) التوبة/ ١١٤ راجع الأتحاف ص ٢٤٥ .

(٢) سبق أن قلنا لم ترد هذه القراءة في السبع ولا العشر ، ولا الأربع عشرة الاتحاد ص ٢٢٥ .

(٣) التصحيف للعسكري ص ٩ .

المصحف ووجهها في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند »[1] وأما الآخر فكان يغير حروفاً من القرآن ، ويقرأ بخلاف ما أنزل[2] كان يعتمد على السند وإن خالف المصحف ، واتفقا على موافقة العربية[3] .

وهذا دليل على مدى الدقة والإحكام في منهج القراء في إثبات القراءات ، فالسند والتلقي مع الموافقة لرسم المصحف .

إن منهج جولد تسيهر يفتح أبواباً من الفوضى ، ويدفع إلى تحريف النص القرآني ، أو مسخ فصاحته وقد وقعت بعض قراءات ردت على أصحابها من أول الأمر ووئدت في مهدها ، وأصبحت مجرد ذكرى لهذا الضلال في بطون الكتب والمراجع ، وإن لجأت اليها بعض الفرق المنحرفة لتدعم انحرافها .

من ذلك قراءة الرافضة : (وما كنت متخذ المضِلِّين عضدا) بفتح اللام ، يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[4] .

ولعل وراء هذا الوهم في تفسير المستشرقين لاختلاف القراءات شيء آخر .

هو أنهم قاسوا القرآن الكريم على ما وقع فيه التصحيف والتحريف من كلام العرب شعرا ونثراً ، فعدوا القراءات من هذا القبيل . وإذا صح هذا فقد وقعوا في ضلال بعيد لأن ما وقع من تصحيف وتحريف في كلام العرب تصدى لـه أعلام العلمـاء وصوبـوه ، وردوا آثار التصحيف والتحريف ، وألفت عشرات الكتب في هذا الصدد منها« التصحيف

---

(١) طبقات القراء جـ ٢ ص ١٢٤ .
(٢) وفيات لأعيان جـ ٣ ص ٣٢٦ .
(٣) طبقات القراء جـ ٢ ص ٥٤ .
(٤) منجد المقرئين ص ٢٣ .

والتحريف لأبي أحمد العسكري » فهل يتصور أن يحدث هذا في القرآن ويسكت عنه هؤلاء الغُيُر من العلماء ؟ .

وهنا ملاحظة جديرة بالاعتبار هي أن المصاحف التي نسخت في عهد عثمان على يد هذه المجموعة الطيبة من الصحابة القراء عندما وزعت على الأمصار الإسلامية كان يرسل مع كل مصحف عالماً من علماء القراءة يعلم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف ، وعلى مقتضاه ، فأمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السائب الى مكة ، والمغيرة بن شهاب الى الشام ، وعامر بن عبد قيس الى البصرة ، وأبا عبد الرحمن السلمي الى الكوفة . ولا شك أن الحكمة من إرسال القارىء مع المصحف تقييد ما يحتمله الرسم من القراءات بالمنقول منها تواتراً ، فلو كانت القراءات مأخوذة من رسم المصحف ، وأن أي قراءة توافق الرسم مقبولة ما كان هناك ما يدعو لإرسال عالم مع المصحف ، فهذا دليل على أن القراءة تعتمد على التلقي والنقل والرواية ، لا على الخط والرسم والكتابة[1] .

كتابة المصحف بين الرسم العثماني ، والرسم الاملائي

ارتفعت بعض الأصوات في الآونة الأخيرة ، وفي النصف الثاني من القرن الهجري[2] الماضي تطالب بتيسير رسم المصحف ، وكتابته حسب قواعد الاملاء التي تعارف عليها أبناء اللسان العربي ، وانتهوا إليها في صورتها المعاصرة وذلك بهدف تيسير القراءة على الناشئة والعامة من

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ـ الشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٤٨ ، ٤٩ وراجع تفسير القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٦٠ .

(٢) ورد سؤال بهذا الشأن لمجلة الفتوى بالأزهر ـ مجلة الرسالة عدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧ ، ومجلة المقتطف يوليو سنة ١٩٣٣ .

المسلمين الذين لا يعرفون أصول الرسم العثماني ، وتصدى لهؤلاء من يعارضونهم ويقولون بضرورة الحفاظ على الرسم العثماني .

والذي أريد أن أقرره بين يدي هذه القضية أن المطالبة بتيسير رسم المصحف قضية عرفت من عدة قرون ، وليست وليدة القرن الماضي . ففي هذه المسألة رأيان ، ولكل صاحب رأي وجهة هو موليها وله أدلته التي يستند إليها .

وسنعرض بإيجاز لكلا الرأيين ، والحجج التي تساند كلا منهما ، ونحاول أن ننتهي إلى التصور الذي نرجو أن يكون سديداً فيحقق الغاية دون تضييع أو تفريط .

القائلون بضرورة كتابة المصحف بالرسم العثماني .

يرى هؤلاء أن هذا الرسم توقيفي ، كتب به كتبة الوحي ، وكتب المصحف الأول في عهد أبي بكر ، وسار الصحابة على هذا النمط من الهجاء دون محاولة تغييره ، وسار الأمر على ذلك في عهد عثمان رضي الله عنه .

وهذه حجة أولى ولهم حجة ثانية .

هي رأي الإمام مالك ، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما .

أما رأي الامام مالك فقد روى السخاوي أن مالك بن أنس سئل : أرأيت من استكتب مصحفاً ، أرأيت أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى [1] .

ثم يعلق السخاوي على هذا بقوله : والذي ذهب إليه مالك هو

---

(١) البرهان للزركشي (١/ ٣٧٩) والاتقان للسيوطي (٢/ ٢٨٣) والمحكم للداني ص ١٥ .

الحق ؛ إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأحرى ؛ إذ في خلال ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى » .

وقال الإمام أبو عمرو الداني : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والياء والألف : أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه شيء من ذلك ؟ قال : لا .

ثم يعلق الداني على هذا فيقول : يعني الواو والياء والألف الزائدات في الرسم ، المعلومات في اللفظ نحو : (لا أذبحنه) و (بأييد) و (أولوا) ونحوها ثم يقول .. لا مخالف لمالك من علماء هذه الأمة »[1] .

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف ، أو ياء، أو غير ذلك »[2] .

والحجة الثالثة تنحو منحى صوفياً ؛ إذ يرى أصحابها أن هذا الرسم توقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أمر بالكتابة على هذه الهيئة المعروفة ، وذلك لأسرار لا يعلمها إلا الله ، ولا تهتدي إليها عقول البشر ، كما أنها في تصورهم تمثل جانباً من جوانب الإعجاز القرآني ، ثم يتساءلون : لماذا زيدت الألف في « مائه » دون « فئة » والياء في (بأييد) و(بأييكم) ؟ وما السر في زيادة الألف في (سعوا) في سورة الحج دون ﴿ سعو ﴾ في سبأ وزيادتها في ﴿ عتوا ﴾ في جميع مواضعها دون ﴿ عتو ﴾ في الفرقان ، وزيادتها في ﴿ يعفوا الذي بيده عقدة النكاح ﴾ البقرة ، ونقصانها من ﴿ يعفو عنهم ﴾ في النساء ؟ولماذا ثبتت

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٣٨٢) .

(٢) الاتقان (٢/ ٢٨٣) ، والمحكم ص ١٥ .

في ﴿ سراجاً ﴾ في كل مواضعها ، وحذفت من موضعها في الفرقان ثم يقولون : « فكل ذلك لأسرار إلهية ، وأغراض نبوية ، وإنما خفيت على الناس ؟ لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور فإنها لها أسرار عظيمة ، ومعاني كثيرة »[1] .

٤ ـ خط الاملاء السائد متطور ، لا يستقر على صورة واحدة ، وإمكانات تطوره وتغييره قائمة ، ويخشى لو كتب المصحف به أن يكون وسيلة لتحريف أو تغيير ، وضمان الحفاظ على النص القرآني رهن بالاستمساك بقواعد الخط العثماني .

والحجة الخامسة : يرتبط بالرسم العثماني مزايا عظيمة .

أ ـ منها الإشارة إلى ما في الكلمة من قراءات قرآنية لا تتأتى في حالة الرسم الاملائي من ذلك كلمة (سراجا) .

وردت في سورة الفرقان ﴿ وجعل فيها سُرُجا وقمراً منيراً ﴾[2] وفي سورة الأحزاب ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾[3] وفي سورة النبأ ﴿ وجعلنا سراجاً وهاجا ﴾[4] .

كتبت بدون ألف في « الفرقان » وبالألف في « الأحزاب » و « النبأ » وذلك لأنها في الفرقان فيها قراءتان أولاهما بكسر السين وفتح الراء بعدها ألف أعني بصيغة الإفراد ، والأخرى بضم السين والراء أي

---

(١) مناهل العرفان جـ ١ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ وهذا نقل ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ .

(٢) الفرقان/ ٦١ .

(٣) الأحزاب/ ٤٦ .

(٤) النبأ/ ١٣ .

بصيغة الجمع ، فإذا كتبت بالرسم الإملائي لن يفهم منه : إلا قراءة واحدة .

ب ـ الإشارة إلى بعض لغات العرب .

فنرى في المصحف العثماني كتابة تاء التأنيث المربوطة مفتوحة في بعض المواضع إيذاناً بجواز الوقف عليها بالتاء على لغة طيء نحو قوله تعالى : ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾[2] وقوله سبحانه ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط ﴾[3] وقوله: ﴿وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين ﴾[4] وقوله : ﴿ إن شجرت الزقوم ﴾[5] .

ومما نلاحظه أن هذا الاتجاه المحافظ بالغ في التحفظ حتى إنهم كرهوا ما حدث من نقط المصاحف ورووا عن الإمام مالك قوله : « جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء » وقوله : « ولا تخلطوا به ما ليس منه إني أخاف أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا »[6] .

كما كرهوا ذكر أسماء السور ، ورسم فواتح السور وعدد الآيات . قال أبو بكر السراج قلت لأبي رزين : أأكتب في مصحفي سورة كذا وكذا ؟ قال : إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه، فيظنوا أنه من القرآن »[7] .

---

(١) الأعراف/ ٥٦ .
(٢) ابراهيم/ ٣٤ .
(٣) التحريم/ ١٠ .
(٤) الأنفال/ ٣٨ .
(٥) الدخان/ ٤٣ .
(٦) المحكم ص ١٠ ـ ١١ .
(٧) المرجع السابق ص ١٧ .

فكل زيادات في الرسم ، حتى ولو كان الهدف منها التنسيق والتنظيم ، والبيان كرهوها .

واستمر هذا التيار المحافظ حتى عصرنا الحاضر .

وأسهمت فيه لجنة الفتوى بالأزهر ، وعندما سئلوا عن كتابة المصحف بخط الإملاء المعتاد أفتوا بعدم جواز ذلك التزاماً بما كان عليه الصحابة والتابعون[1] .

ورأى حفنى ناصف وجوب المحافظة على الرسم العثماني لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة ، وفي المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة ، فلا يفتح فيه باب الاستحسان »[2] .

رأى المطالبين بالرسم الإملائي .

في مقدمة هذا الرأي يؤكدون أن الهدف تيسير القرآن للناشئة حتى يقرؤه صحيحاً دون أن تعترضهم صعوبات الرسم ، وقد بنوا حجتهم على عدة أسس .

منها أن الرسم العثماني ليس توقيفياً ، وإنما كتب المصحف بالخط المتعارف عليه حينذاك ، وعندما كان كتبة الوحي يكتبون ما ينزل من آيات ما أوصاهم الرسول عليه الصلاة والسلام بكتابة معينة ، أو رسم معين أو زيادة أو نقص ، ولو فعل لآمنا به ولحرصنا عليه ، ولكان هذا الرسم توقيفياً كما قالوا .

بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من هذا وقالوا : إن ما حدث إنما هو خطأ من الكتاب .

قال ابن خلدون : « لقد كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ

---

(١) مجلة الرسالة ـ العدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧ .

(٢) مجلة المقتطف يوليو (تموز) ١٩٣٣ .

الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع ، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها »[1] .

وحقائق التاريخ تشير إلى أن الرسم العثماني لم يقف على الصورة التي كان عليها ، بل لحقت به بعض تطورات وتغييرات تهدف الى الحفاظ على القرآن من تيارات اللحن ، وتيسير قراءته بعدما فشت العجمة ، ولا ريب أنها قوبلت في أول الأمر بشيء من التحرج ، لكن التطور المفيد قد تم إيماناً من القائمين بها بأن فيها بياناً وتوضيحاً[2] .

من ذلك أن المصاحف في أول الأمر كانت خالية من الشكل .

ثم ظهرت الحاجة ماسة لذلك ، فوجدنا العلماء يترخصون ويقولون : العجم نور الكتاب ، وأنه لا بأس به ما لم تبغوا[3] .

على أن هذا العمل جاء في وقت مبكر ؛ إذ رأينا أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) قام بشكل المصحف لدفع التحريف ، وكان الشكل عبارة عن نقط تبين الحركات والتنوين ، وتم ذلك في خلافة معاوية[4] .

كما قام نصر بن عاصم (٨٩ هـ) ويحيى بن يعمر (١٢٩ هـ) بإعجام المصحف بالنقط دفعاً للتصحيف بأمر الحجاج في خلافة عبد

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩ ط مصطفى محمد ، وراجع مجلة البحوث الإسلامية العدد السادس ـ الرياض ١٤٠٣هـ وفيها رأي للسيد رشيد رضا يؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون .

(٢) رسم المصحف ، د. عبد الفتاح شلبي ص ١٢٣ .

(٣) المحكم ص ١٢ .

(٤) وفيات الأعيان ترجمة أبي الأسود الدؤلي .

الملك بن مروان .

وأسهم الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) في هذا المجال ، وذلك بالهمز والتشديد والروم والإشمام[١] .

قال خلف بن هشام البزار : كنت أحضر بين يدي الكسائي ، وهو يقرأ على الناس ، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم »[٢] .

وسار الناس بدافع الغيرة على نهج هؤلاء الأعلام ، وأضافوا إلى رسم المصحف علامات دالة على الأرباع والأحزاب ، والأجزاء ، وسجدات التلاوة ، ووقفات السكت ، وعلامات الوقف ، وأصبحت المصاحف في عصرنا تذيل باصطلاحات الضبط ، وتكتب بألوان متنوعة من الخطوط . وما أصاب النص القرآني أدنى تغيير .

على أن ينبغي أن نضع في الاعتبار أننا مهما طورنا في خط المصحف لتيسير قراءته فإن ذلك لن ينال منه شيئاً وقد قال رب العالمين : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

وهذا رأي وسط . . . نراه أمام هذا الخلاف أولى بالقبول .
وأوجزه في نقاط محددة .

١ ـ على ضوء ما سجلته المراجع التاريخية واللغوية يتبين أن المصحف لم يكتب بخط متميز وإنما كتب بالخط المتعارف عليه في عصر الصحابة ، وأنه قد طرأت عليه تغييرات على يد أعلام الأمة وعلمائها الذين أشرنا إليهم ، وهذه التغييرات تمت على مراحل مختلفة ، وآخرها مصطلحات الوقف ، ونحوها[٣] .

(١، ٢) المحكم ص ٦ ، وراجع قصة النقط الشكل في المصحف الشريف د .عبد الحي حسين الفرماوي ص ٩٦ .

(٣) راجع التعريف بالمصحف الشريف ـ المطبعة الأميرية .

٢ ـ من غير المقبول عقلاً ونصاً القول بالرمز ، أو بأن هناك أسراراً إلهية في هذه الحروف الزائدة ، وأن هذه الأسرار لا تدرك إلا بالفتح الرباني فهذا نوع من التكلف والتعسف والإيغال في الوهم .

ولو كان هذا الرسم توقيفاً لكنا ملزمين به واتباعه ، وألا نغير فيه ، مع أن الذي حدث أنه تمت تغييرات في الرسم على يد أعلام لا مطعن فيهم أكسبت النص القرآني وضوحاً ، ولم تحدث لبساً ، ونحن الآن نهتدي بما زاده القوم على الرسم العثماني .

٣ ـ إذا حاول بعض المتمسكين بحرفية الرسم العثماني أن يوجدوا تفسيرات كما أوضحنا لزيادة الألف في (لا أذبحنه) (ولا أوضعوا) وللياء في (أييد) فبم يفسرون زيادة الألف في : (ملاقوا ربهم) ﴿ بنوا اسرائيل ﴾ (أولوا الألباب) وزيادة الياء في(نبإي المرسلين) (آناءى الليل) .

٤ ـ أنا مع المحافظين فيما ذكروه من مزايا للرسم العثماني في الإشارة للقراءات ولهجات القبائل .

٥ ـ من أجل هذا أحدد وجهة نظري في الآتي :

المحافظة التامة على كتابة المصحف بالرسم العثماني على الصورة التي هو عليها الآن ، وفيها التطورات التي تمت على أيدي أبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، ونحوها من المصطلحات التي زادها علماء القراءات في عصرنا الحاضر ، وتم على أساسها طباعة المصحف في عصرنا الحديث .

ولا مانع مع هذا إذا نقلنا نصوصاً قرآنية للاستشهاد بها في كتبنا وبحوثنا ، أو لنعلمها للناشة في المدارس ، أو لتكتب على لوحات للتوجيه والإرشاد أن تكون بخط الإملاء العادي تيسيراً على الناس الذين

لا علم لهم بدقائق رسم المصحف العثماني ، ولا يتاح لهم الآن الرجوع الى المتخصصين في ذلك للمراجعة والضبط .

وقد اتجهت الى ذلك وزارة التربية والتعليم في مصر ، فكتبت النصوص القرآنية في الكتب المدرسية بالرسم الاملائي المعروف .

على أنه ينبغي لنا أن نضع في اعتبار أن رائد الجميع هو العمل على الحفاظ على الكتاب العزيز ، وتيسيره للناس ولقد يسره الله علينا من حيث المفهوم والمحتوى فقال : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ ؟ فبقى علينا أن لا نرى مضاضة في تيسيره ـ الى حد ما ـ في الرسم والكتابة .

وقد تكفل الله بحفظ كتابه فقال عز من قائل : ﴿ إنما نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

يقول العز بن عبد السلام ـ سلطان العلماء ـ : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع في تغيير من الجهال ، ولكن لا ينبغي اجراء هذا على إطلاقه ، لئلا يؤدي إلى دروس العلم ، وشيء قد أحكمته العلماء ، لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته »[1] .

وهذا قول فيه حصافة ، وفطنة ، رحم الله صاحبه .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٣٧٩ ، ومعنى دروس العلم : ذهاب آثاره .